شرعة ومنهاج

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

١٧

الشرك والوثنية

لقاءات علمية مرئية (مفرَّغة)

الفهرس

الشرك والوثنية[1] 1

–مفهوم الشرك والوثنية 2

– الأضرحة والقبور 6

– آثار الصالحين والأمم الغابرة 10

– علوم الطاقة والبرمجة العصبية 13

– التوسل بالأموات 14

– التوسل بمحمد ﷺ 15

[1]) رابط الحلقة http://www.youtube.com/watch?v=yCfqbMoRpIo

مفهوم الشرك والوثنية

أوجد الله تعالى الناس من جهة الأصل مفطورين على الفطرة الصحيحة كما في قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(الروم : 30) وكما قال النبي ﷺ (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ) [٢] وما يأتي من انحراف فيما يتعلق بالشرك يطرأ على الفطر وذلك من التعلق بشيء من المخلوقات من دون الله وهذا من حيل أبليس على بني أدم ولهذا يقول الله في الحديث القدسي﴿ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ﴾ [٣] وهذا الاجتيال يكون في عبادة غير الله وما دون ذلك ، والشرك هو أعظم شيء يُعصى الله به وهو ظلمٌ عظيم .

وأما من جهة معناه فهو من لفظه أن يشرك الله في عبادة مع غيره من مخلوقاته سواء كانت العبادة ظاهرة أو باطنة كالسجود والطواف والنذر والنحر وسؤال الأموات أو الأحياء لغفران الذنوب وكذلك كشف الكروب التى لا يقدر عليها إلا الله .

والإشراك ببعض الألفاظ منه ما يكون كفر أكبر ومنه ما يكون دون ذلك من الشرك الأصغر ومنها ما يكون من الأمور القلبية وهي الأساس والمنشأ التى ينشأ عليها القول والفعل وهو ما يتعلق بالمحبة والخوف والرجاء وهذه الثلاثة هي من جهة الأصل التى يتكأ عليها عمل الظاهر والباطن ويقوى بها وينمو ويزداد .

ولهذا الإنسان لا يعبد غير الله تعالى من جهة السجود إما يرجوه أو يخافه أو يحبه من دون الله سبحانه وهذه الأشياء من الأمور القلبيه فإنها تفضي إلى شيء من العمل الظاهر .

---

٢) صحيح البخاريّ : كتاب الجنائز (1270) ، وصحيح مسلم :كتاب القدر (2658) .
٣) صحيح مسلم : كتاب الجنّة وصفة نعيمها (5109) ، البيهقي : كتاب القضاء والقدر (523).

ولهذا يقول النبي ﷺ (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [٤] هذا إشارة من النبي إلى أنه ثمة مغالبة في قلب الإنسان في المحبوبات وهذه الأشياء إذا وجدت في قلبه وغلب حب المادة على الله سبحانه والمبلغ عن الله تعالى فإن ذلك يعني وجود الشرك في الإنسان ويتفاوت من شرك أصغر إلى شرك أكبر ; لهذا جاء ضبط الأمور القلبية من جهة التعظيم فثمة حد للتعظيم جاءت الشريعة لحياطتها وضبطها الأمر الهرمي الذى ينشأ وينبت من جهة قلب الإنسان ; ولهذا جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ ، وَهُوَ شَاكٍ ، فَصَلَّى جَالِسًا ، وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ قِيَامًا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ ، أَنْ اجْلِسُوا) [٥] كما جاء عنه ﷺ قال (لا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ ، يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا) [٦] فأراد النبي ﷺ أن يكسر جانب التعظيم ; لأنه يتسلسل يبدأ بالقيام ثم التقبيل ثم الانحناء ثم يكون بعد ذلك سجودًا ثم ذبحًا ونحرًا ، والنبي ﷺ يعلم أن هذه الأشياء تتسلسل على عتباتٍ ثم يرقى الإنسان فيها ، كذلك المعاني من جهة تسلسلها كحال الماديات فالإنسان لا يمكن أن يبني مبنى من جهة دوره الثاني إلا وقد بنى الأول واستحكم بنائه فإذا عرف أن الإنسان سيستشرف إلى حال أو إلى عورة له يعلم أن الإنسان إذا بنى الأول سيتكأ عليه ما تبقى .

والمحبة الفطرية دعا إليها الإسلام ولهذا جاء (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) [٧] فأشار إلى المحبة وأن يحب المرء لا يحب إلا في الله فربط المحبة بالله ، ولكن ثمة محبة فطرية وهي التى تكون بين الازواج كما يقول الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم : 21) فهذه موجودة ولكن ما يتعلق بعلاقة الناس ضبطها الشارع حتى لا تخرج عن أمرها وهي أن تكون بأمر

٤) رواه البخاري (14)، والنسائي(115/8)من حديث أبي هريرة، وهو من حديث أنس عند البخاري (15)، ومسلم (44)، والنسائي (114/8، 115)، وابن ماجه (67)، وأحمد (177/3، 275).
٥) رواه البخاري(الأذان/657).
٦) رواه أبو داود (2 / 346) و أحمد (5 / 253).
٧) رواه مسلم (74/1) في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون برقم (54).

الله وذلك أنها إذا خولف فيها أمر الله انفكت ، ولهذا الأخوة الإيمانية أعظم من الأخوة النسبية بين الناس ولهذا تجد من الصحابة من كان أبوه كافر وهو مسلم وكان أخوه في صف المشركين ثم يقوم بقتاله لأن رابطة الأخوة مع اختلاف النسب أقوىٰ من غيرها .

وعليه فإن جانب الشرك الذىٰ حذر الله تعالىٰ منه من جهة تعريفه وبيانه وأصله أن يجعل الإنسان مع ربه شريكًا في عبادته جل وعلا ، كذلك في ربوبيته من جهة تدبيره ، وهذا هو فرعٌ عن ذاك وذلك أن الإنسان إذا عبد أحد من دون الله فإنه بداءة يتصرف بشيء فلا يعبده إلا ظنًا منه أنه يستطيع أن يرفع عنه الحرج والبلاء أو يجلب له الخير ، فهذا تلازم مثل من يظن من الناس أن الكواكب تؤثر من دون الله وكذلك من يظن في الأبراج والأجرام وتأثيرها المستقل والله هو الذىٰ يصرفها سبحانه ، فهذه الأشياء هي الشرك وهي أعظم ما يُعصىٰ الله سبحانه وتعالىٰ به.

والإشراك مع الله تعالىٰ أمر عظيم قد دلت الأدلة عليه في السنة وفي كلام الله كما في قوله تعالىٰ ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان : 13) وسبب ذلك أن الله تعالىٰ خلقك ثم سواك وصورك ثم خلق لك الأرض وما فيها لتضرب فيها وهيأ لك الأسباب وفعل لك كل هذا ثم تأتي وتعبد الحجر ! فهذا تنكب للخالق !.

ولهذا كثير من الناس يهتم بجوانب الماديات وفقدها بينما يقول إن ما يتعلق بجوانب الشركيات هي أشياء ثانوية ; فالله خلقك في هذه الدنيا وبعث لك الرسل فإذا تنكر لك أحد في المادة قمت وغضبت لأجل المادة وثمة أمر إلهي تقوم بالتنكر له ولا ترىٰ أن هذا شيء من الظلم !.

وأنبياء الله تعالىٰ يدعون إلىٰ التوحيد ولا يختلف متقدمهم عن متأخرهم ولا نبي ولا رسول وإنما هم علىٰ أمر واحد لهذا جاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)[٨] المراد بالعلات هم الإخوة الذين يكونون من أمهات متعددة وأبوهم واحد فأراد أن الأبوة هي توحيد الله سبحانه الذىٰ أمر الله به سائر الأنبياء كما في قوله تعالىٰ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(الأنبياء : 25) فجميع الرسل السابقة

٨) رواه البخاري (3442، 3443)، ومسلم (2365) (143، 144، 145).

قبل النبي ﷺ يدعون إلى توحيد الله سبحانه ، توحيده في ربوبيته وإلوهيته وأسمائه وصفاته ، وإنما كانت هذه الدعوة موحدة للرسل لأن أعظم ظلم وأعظم ذنب يرتكبه الإنسان في حياته هو الإشراك لهذا جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ لما سئل (أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ . قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ . قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ) [٩] فالأمر الأول الذى نبه عليه النبي ﷺ هو أن تجعل لله ندًا وذكر(وَهُوَ خَلَقَكَ) لأن الله سبحانه هو الذى خلق الإنسان وسيره وخلق له كل ما في الأرض كما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾(البقرة : 29)وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾(الأعراف : 11) فخلق الله الإنسان وصوره وجعل له ما في الأرض جميعًا ثم يعبد غير الله ! فلم يأذن الله سبحانه لأحد أن يفعل هذا الأمر فكان ذلك أعظم الظلم ، فبين النبي ﷺهذه العلة : كيف تعبد غير الله وتسأل غير الله وتسجد لغير الله والله هو خالقك والمستحق للعبودية .

وإذا تنكر الابن لأبيه فلا يستوى تنكر الابن لأبيه بتنكر الأجنبي لأبيه أو العامل لأبيه والأب واحد ; لأن تنكر الابن لأبيه أعظم من تنكر ابن الجار أو الأبعدين أو الخادم لأن أثرك عليه أعظم وأنت سبب وجوده بعد الله في هذه الحياة ، فكان تنكرك له أمرًا عظيمًا ، ولهذا كان بر الوالدين مقترن مع توحيد الله سبحانه كما في قول الله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(الإسراء : 23) هذا لعظم هذا الفعل الذى يكون من الإنسان بأن يتنكر لمن هو سبب وجوده في هذه الأرض فكان الذنب في ذلك عظيمًا ، ولله تعالى المثل الأعلى ولا يبلغه ضر أحد من عباده ولكن المتنكر لله تعالى مرتكب ذنبًا وظلمًا على نفسه أعظم من أي ذنب بل أعظم من الزنا وشرب الخمر وغيره ولهذا كما جاء (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ) [١٠] وذكر في صدرها الإشراك مع الله وغير ذلك من الأحاديث في بيان خطورة

٩) رواه البخاري في الحدود، باب: إثم الزناة (6811)، ومسلم في الإيمان (86).
١٠) رواه البخاري في الوصايا (2767) ، ومسلم : الإيمان (89) ، والنسائي : الوصايا (3671) ، وأبو داود : الوصايا (2874).

الإشراك ، ويأتي في ذلك أن الله سبحانه قد جعل للشرك خصيصة أن لا يغفر الله لمن أشرك معه شيء كما في قوله تعالى (إِنَّ اللهَّ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء)(النساء : 48) جعل الله أمر هذه الخصيصة من جهة الذنب لا تغتفر إلا أن يبادر الإنسان بالتوبة ، أما عداه فيغفره الله تعالى ويجعله تحت المشيئة كالزنا والخمر وغيره ، فإن مات وهو على الشرك فإن مآله إلى النار إذ بلغته الحجة من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

ولقد اتحدت دعوة الأنبياء على التوحيد باعتبار أن التوحيد أعظم ما يدعى إليه والشرك هو أعظم ما ينهى عنه وهو ما ينبغي أن يهتم به العلماء وتهتم به الحكومات والخلفاء والسلاطين فتجب عليهم الدعوة إلى توحيد الله ويفعلون في أمور الدنيا ما شاءوا يأكلون ويلبسون وغير ذلك من أفعال أمر الدنيا ولا يحدهم إلا حدود الله كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهّ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾(البقرة : 229) ولهذا يقول النبي ﷺ كما جاء في السنن (كُلْ ، وَاشْرَبْ ، وَالْبَسْ ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ) [11] والأحاديث في ذلك مستفيضة أن يفعل الإنسان ما يشاء في دنياه أما ما يتعلق من جهة الشرك وبذل العبادة ينبغي أن يكون مضبوطًا بأمر الله تعالى لا خارج عنه .

الأضرحة والقبور

يدعي كثير من الناس أنه لا يشرك مع الله غيره وأن زيارة الأضرحة والقبور ومثل هذه الأفعال لا تخرجه إلى الكفر!.

وكذلك كانوا كفار قريش في الجاهلية يظنون أنهم يعبدون الله ويقولون عن الأصنام أن هؤلاء عظموا الله فنحن نعظمها لتعظيم الله .

وَلهذا جاء فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ نُوحٍ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَدٍّ وَسُوَاعٍ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ (أَنَّهَا كَانَتْ أَسْمَاءَ رِجَالٍ

[11]) رواه البخاري معلقاً "فتح الباري" (10 / 252)، والنسائي (5 / 79)،وابن ماجه (2 / 1192) حديث رقم (3605).

صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ) [١٢]

يعنى لما جاء جيل بعد ذلك وتناسى أصل الأمر عبدوهم من دون الله سبحانه.

والمشركون في مكة والعرب كانوا يرون أنهم يعظمون الخليل إبراهيم وإسماعيل ككثير من العرب والمسلمين ممن يقعون في الشرك ويظنون أنهم يعظمون محمد ﷺ.

وقد جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ فَأَخْرَجَ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَفِي أَيْدِيهِمَا الأَزْلامُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَاتَلَهُمُ اللهُ ، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ) [١٣] فهؤلاء زيفوا حقيقة ما يدعو إليه إبراهيم وإسماعيل ويظنون بأفعالهم أنهم عبدوا الله عبر هذه الوسائط .

ويوجد في زماننا ممن يزعم الإسلام ويرى أنه يعظم محمد ﷺ وربما ينطق الشهادتين ولا يفهم حقيقتها من جهة معناها ويردد الآذان " أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله " وغير ذلك ولكنه يطوف على القبور ويأتي إلى الأضرحة يتمسح بها ويسألها الولد ويسألها إزالة الكرب وتفريج الهم وكذلك الرزق وقضاء الدين وقضاء الحاجات التى لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، ومثل هذه المقاصد لا تغني من الحق شيئا .

فالإنسان ربما يظن أنه يعظم محمد ﷺ كحال كفار قريش الذين عبدوا هذه الأصنام ظنًا منهم أنهم يعبدون الله كما يفعل كثير من منتسبي الإسلام ممن يضعون الأضرحة والمزارات والقبور وغير ذلك ويقولون نحن لا نعظمهم إلا لتعظيمهم لله وهذا من تسويل الشيطان لهم ; فالنابتة العظيمة في هذا هي تعظيم آثار الصالحين وقبورهم; لهذا بين النبي ﷺ حقيقة التأمل مع الأموات وحقيقة التعامل مع آثار الصالحين وحذر من التعامل مع قبره وقبره لا شك أشرف القبور وقد نقل غير واحد من العلماء أن التربة التى دفن فيها النبي ﷺ أفضل بقع الأرض وحكى الاتفاق على هذا غير واحد من العلماء .

---

١٢) رواه البخاري في تفسير القرآن: 667/8(4920) .

١٣) رواه البخارى (184/2) (170/4) (188/5) ، وأبو داود (2027)،وأحمد (334/1) (3093) وفى (365/1) (3455) .

مع هذا الأمر جاء (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : " لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ) [١٤] يعنى صلوا في بيوتكم ولا تظنوا أن عيادتي في بيتي من أجل الدنو مني ونحو ذلك ثم أراد النبي ﷺ تتمة الخبر فقال (وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ) وهذا من النبي ﷺ نهي للإنسان أن يقصد قبره لأجل الصلاة عليه ﷺ .

لذلك خص الله تعالى النبي ﷺ بهذه الخصيصة أنه لو صلي أو سلم عليه في أي موضع من الأرض يأتي إليه ويبلغه بخلاف غيره لو أنك دعوت لأحد أو سلمت عليه فإنه لا يبلغه ; لأن الله أراد دفع الظنة أو الكلفة التى يظن بها الناس من الدنو من قبر النبي ﷺ .

ولهذا حذر النبي ﷺ أن يفعل في قبره ما فعل اليهود والنصارى بأنبيائهم كما جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ (لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) [١٥] وجاء في رواية (يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا) يعني أن تصنعوا مثل ما صنعوا في حال النبيﷺ لهذا الصحابة من جهة التعامل مع قبر النبي لم ينصبوه ولم يشرفوه ، كما جاء عَنْ الْقَاسِمِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ (يَا أُمَّهْ اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةٍ وَلَا لَاطِئَةٍ مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحُمْرَاءِ) [١٦] وهذا من عائشة عليها رضوان الله أرادت أن تبين له حال تلك القبور من جهة وضعها وأنها ليست مشرفة وإنما بارزة بروزًا يسيرًا وهذا قبر النبي ﷺ في زمن التابعين يعنى أنه في زمن الصحابة والخلفاء لم يكن ثمة تغيير له .

ومن ينظر في حال بلدان الإسلام الآن يجد فيها مئات المزارات والأضرحة التى تنصب وتشرف ويبذل لها من دون الله تعالى من جهة النذور وتسأل من دون الله ويطاف عليها مثل قبر البدوي

١٤) رواه أحمد في "مسنده" (367/2) ، وأبو داود في "السنن" (2042) – ومن طريقه البيهقي في "شعب الايمان" (4162) ، وفي "حياة الأنبياء بعد وفاتهم" (ص 95) – ، وابن فيل البالسي في "جزئه" (113) ، والطبراني في "المعجم الأوسط" (8030) .

١٥) رواه البخاري "628/3- الفتح": كتاب الجنائز: حديث "1390"، ومسلم "14/3، 15- النووي": كتاب المساجد ومواضع الصلاة: حديث "529/19"، وأخرجه أحمد "218/1"، والنسائي "40/2، 41": كتاب المساجد: حديث "703".

١٦) أخرجه أبو داود (2/ 70) والحاكم (1/ 369) وعنه البيهقي (4/ 3) وابن حزم (5/ 134) من طريق عمرو بن عثمان بن هاني عن القاسم به.

والسيدة زينب وغير ذلك بل وجد أن من يصرف عليها هم من بعض المنتسبين للإسلام وهو ما يفعله الجاهليون عند بعض الصالحين في الأمم السابقة.

فوجب على الأمة بيان أن مثل هذا الأمر شرك أكبر يخرج من الملة ويجب على من ولاه الله أمرهم أن يبين هذا الشرك ، ما يحدث كذلك في الشام والعراق وبعض بلدان فلسطين وأفريقيا والهند وفي كثير من دول الإسلام .

والقبور والأضرحة والمزارات التى تُعبد من دون الله تعالى هي شرك الجاهلية وهي كفر كفار قريش من العرب وغيرهم لا فرق سوى أن هؤلاء ينتمون لإبراهيم وهؤلاء ينتمون لمحمد ، وكلا الطائفتين انتمائهم زورًا لم يكونوا على حق بل يحتاجون إلى بيان لإعادتهم لما كانوا عليه من الحق وهذا ربما بابتعاد الأمة عن دين الله فاستحقت مقتًا وعقوبة .

وبالنظر إلى الشرك الموجود في مصر وفي العراق وفي الشام وفي اليمن وغير ذلك من أنواعه ، من الذى يقوم بإنكاره ؟ من الذي يقوم ببيانه ؟ كم عدد التحذير من مثل هذا الأمر ؟ وكم التحذير من غيره من الجزئيات التى يقع فيها الناس ؟ لهذا الذين يطوفون على القبور وينذرون لها يعلمون آداب السلام وسير الصحابة عليهم رضوان الله ويعرفون من فرعيات الإسلام وجزئياته ما لا يعلمه عن أصل الدين وهو التوحيد والسبب تقصير العلماء والدعاة في خروجهم للفضائيات ووسائل الإعلام بتعليمهم جوانب معينة من الإسلام وترك الأعظم وهو التوحيد ، فثمة خلل كبير جدًا في أداء الرسالة يجب عليهم أن يدركوا أن الأنبياء إنما دعوا أعظم ما دعوا إليه إلى توحيد الله تعالى وما جاء من فروع إنما يأتي تبعًا لا يأتي استقلالا.

آثار الصالحين والأمم الغابرة

الآثار يُنظر إليها من جهتين :

الجهة الأولى : آثار السالفين على سبيل العموم وهم الذين لا شأن لهم من جهة الديانة من القبائل والأجداد وغير ذلك من سك العمولات وما يتعلق بالمخطوطات أو الأحجار والمنحوتات أو الرسومات التي ليست بذوات أرواح وغير ذلك ; فهذه من الآثار التي لا حرج على الإنسان أن يوجدها ويضع لها متاحف شريطة أن تقترن بشيء من الاعتبار ، لأن الله تعالى أمر بالاعتبار والضرب في الأرض لأجل الاتعاظ والاستفادة.

الجهة الثانية : الآثار الدينية وآثار الصالحين مثل ما يتعلق بأحد عَظُمَ لأجل دينه كحال الأنبياء والصالحين وكذلك الأولياء والعلماء وغير ذلك هؤلاء من جهة آثارهم ننظر إليهم ، لماذا عظموا من جهة الأصل ؟ عظموا من جهة دينهم فلا يجوز للإنسان أن يبقي ألبستهم وأوانيهم ويضع لهم متاحف ونحو ذلك ; لأنه يفضي إلى عبادة غير الله تعالى ، كما كان الشرك من العرب في كفار قريش ، بل ما كان في قوم نوح حينما صوروا الأشياء وما كان من بعدهم .

والشرك من جهة الأصل إنما جاء من جهة التعظيم فإذا عظم الإنسان دينيًا فإن هذا الأمر يتسلسل معه حتى يبقى عظيمًا ثم يعبد من دون الله تعالى ، ولهذا ما يتعلق ببقايا الصالحين من أحذية وألبسة وأواني يتبركون بها شيئًا فشيئًا وهذا ما يفضي بهم إلى الشرك.

وعمر الأفكار والعقائد أعظم من عمر الإنسان فالعقائد لا تتشكل في جيلٍ واحد لهذا عبد الله بن عباس عليه رضوان الله لما ذكر هؤلاء الصالحين " ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا " ذكر أنهم عباد صالحين من جهة الأصل نصبوا لهم من جهة الحب والمودة قال (فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ)[١٧] والعلم هنا هو العلم بحقيقة هذه الأصنام وسبب وجودها في الأصل .

١٧) سبق تخريجه / انظر (12) .

وبالنظر إلى قبر البدوي وقبر السيدة زينب والحسين وما يحدث في النجف وكربلاء وبعض بلدان المسلمين من الأضرحة والمزارات : هؤلاء بعد وفاتهم لم يعبدوا من دون الله وإنما مضى بعد ذلك أقوام ثم شرفوا ثم أصبحت بناية عامة ثم يصرفون عليها من النذور ثم عبدت من دون الله تعالى.

والصحابة يدركون هذا ، ولهذا يقول عبد الله بن عباس كما روى بن أبي شيبة من حديث غبره عن عبد الله بن مسعود قال (لَأَنْ أَحْلِفَ بِاَللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا) [١٨] لأنك ما حلفت من جهة الأصل إلا من تعظيمك لله فحلفت به ولو كنت كاذبًا فتأخذ إثم الكذب ، لكن لو حلفت بغير الله أخذت إثم تعظيم غير الله تعالى .

والأفكار لا تحدث في جيل ولهذا حذر النبي ﷺ مما يتعلق بآثار الصالحين من جهة تعظيمها والتبرك بها ; لأنه سيأتي جيل يعظمون ثم يتبركون ثم يعبدون من دون الله ويسجدون ويطوفون ، والأصنام في مكة لم تكن تعبد ويسجد لها من دون الله وإنما كانوا شيئا فشيئا من جهة المحبة والتعظيم ثم يطوفون عليها كما جاء عند البخاري عن أبي رجاء العطاردي ، يَقُول (لما بعث رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ، ولحقنا بالنار وكنا نعبد الحجر فِي الجاهلية ، فَإِذَا وجدنا حجرا هو أحسن مِنْهُ نلقي ذاك ونأخذه ، وإذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب ، ثم جئنا بغنم فحلبناها عَلَيْهِ ثم طفنا به)[١٩] فهذا الأمر لم يكن موجود قبل ثلاثة قرون وغيرها في الجاهلية قبل أبي رجاء وإنما جاء من جهة التعظيم.

فالأفكار تتحول بعد جيل أو جيلين ونحو ذلك لهذا جاءت الشريعة بسدها على سبيل الابتداء حتى لا تعظم وتعبد من دون الله وتتحول إلى شرك ، وكذلك ينبغي ألا يغتر بعض الناس بما لديهم من علم ومعرفة بهذه الأمور لأن الأبناء ومن يأتي من الجيل الذى يليه يجهل ذلك الأصل ثم يتحول لهذه الشريعة فمنعت من الوسائل التى تفضي إلى مقاصد .

١٨) رواه الطبراني في [الكبير] (9 / 183) برقم (8902)، وانظر [إرواء الغليل] (8 / 191)، و [الضعيفة] برقم (91).
١٩) سبل الهدى والرشاد ج6 ص327 عن البخاري ج6 ص4 (4376)، وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 685 ،والبداية والنهاية ج2 ص237 ،والسيرة النبوية لابن كثير ج1 ص62.

آثار الأمم السابقة ممن نزل بهم العقاب :

وأما ما يتعلق بالأمم التى يتنزل عليها العقاب فلا حرج من المرور والإتيان بها على سبيل الاتعاظ والاعتبار بل يستحسن ويفضل أن يرى الإنسان آيات الله تعالى في أحوال الأمم السابقين ما أنزل الله تعالى فيهم من عقاب وكذلك كرب وابتلاء وغير ذلك ولهذا يقول الله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(الأنعام :11) .

وقد أنزل الله تعالى عقوبة على جملة من الأمم السابقين فلو أن الإنسان نظر فيها ثم جعلها قوة وحضارة فقد خالف ما عاقبها الله تعالى عليه بالذنوب والمعاصي والبعد عن الله وإنما يكون المرور عليها للاتعاظ والاعتبار، وينهى عن من يأتي إليها متسليًا متنزهًا.

وأما مواضع العذاب التى جاء فيها العذاب فالأولى ألا يمر بها الإنسان إلا مُسرعًا .

واتخاذ مواضع العقوبة للسياحة يخالف سنة الله تعالى من إبقائها وإيجادها فالله جعلها للاتعاظ والاعتبار لسؤال الله تعالى الحق والثبات عليه والبعد عن الباطل الذى كانوا عليه وعوقبوا من أجله ; لهذا المرور بها على سبيل السياحة أو التنزه أو وضع مطاعم أومنتزهات وملاعب ونحو ذلك هذا لا يجوز ولا ثمة خلاف عند العلماء في هذا .

والشرك والوثنية والأصنام تتنوع من زمن إلى زمن وهي من جهة أصلها ترجع إلى أصل واحد فالشرك واحد في الأمم ولكن صوره تتباين وتختلف ، ولهذا جاء عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، قَالَ : وَكَانَتْ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكِفُونَ عِنْدَهَا ، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، قَالَ : فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّهَا السُّنَنُ اللهُ أَكْبَرُ ، قُلْتُمْ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) سورة الأعراف آية 138 ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ)[٢٠] مع أن هذه شجرة وتلك أصنام تعبد من دون الله ولكن الأصل واحد .

[٢٠]) رواه الإمام أحمد 21390، والترمذي 2180.

ولهذا جاء عن النبي ﷺ حينما مُطِر الناس (قَالَ أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) [٢١] كذلك ما يتعلق بالأبراج وتأثيرها من جهة السعادة وما يتعلق بالأشياء الجديدة مثل زيارة البلدان وغير ذلك فلا أثر للطبيعة على الإنسان ولله عز وجل التقدير ، والله أمرنا بأن نأخذ بالمشاهدات لكن تعليق الإنسان بالأمور الغيبية تفضي إلى التخرص وهذا التخرص يوقع الإنسان في كثير من الوهم والخوف والمحبة والرجاء لغير الله .

ولقد عبد كفار قريش الجن حتى بلغ بهم إذا نزلوا وادي استعاذوا بعظيم هذا الوادي من شر ما فيه من الجن فهم لم يروا جن في حياتهم وإنما يتخيلون شيئًا في أذهانهم ثم يعبدون ويصرفون العبادة لغير الله تعالى;لهذا يأخذ الإنسان بالحسيات إذا ظهرت له ولا يجوز أن يأخذ بما لم يظهر له وعليه أن يسلم به لأن الكون من صنع الله والله أعلم بصنعه كما قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(الملك :14) .

علوم الطاقة والبرمجة العصبية

هذه العلوم متشعبة وعلى أنواع منها ما هو ظني مثل علم الطاقة والتنمية البشرية والبرمجة العصبية NLP وأضرابها ، وذلك أنهم يقولون أن ثمة شيء من الإيحاء وربما الشعور الذى يشعر به الإنسان يظهر للإنسان إيحاءات مما يراها أو شيء من هذا القبيل ، مثل هذه الأشياء التى يتعلق بها الإنسان إما أن تكون معلومة مادية كعلم أهل الطب حتى لو لم يرى من جهة الخبرة والدقة من جهة تحليل الدم يكون معلوم مثل كرات الدم البيضاء والحمراء وغير ذلك ، لكن ما لا يدركه الإنسان هو ضرب من الخيال وربما يفضي لأكبر من ذلك; لهذا الإنسان إذا لم يكن الأمر ظاهر بين فلا يجوز أن يأخذ به وهو ضرب من ضروب التوهمات فلا يجوز للإنسان أن يعتد بهذا العلم وأضرابه كثيرة .

[٢١]) رواه البخارى (110/3) ومسلم (59/1) وأبو داود (3906) والبيهقى (357/3) وأحمد (117/4) .

التوسل بالأموات

قد جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ (لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)[٢٢] فلا يجوز ربط المسجد بالقبر فليس هو موضع صلاة أصلاً ، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة في المقبرة إلا صلاة الجنازة فجاءت بغير ركوع وسجود ; لأن أمامك ميت فلم يشرع السجود والركوع فيها لأنها موضع دعاء ، أما السجود والركوع ينبغي أن يبتعد عن القبر كما في حديث النبي ﷺ .

ومن يتعلق بقبر أو تربة ويتبرك بها من دون الله تعالى سواء استقل بالقبر أو أخذ بالتربة هو في نهاية المطاف يعبد غير الله سواء أخذها ويسجد عليها ويتبرك بها أو يسألها أو يضعها على الجروح ليبرأ الإنسان أو نحو ذلك فقد جعلها سبب وضرب من ضروب الشرك .

أما من جهة العذر بالجهل فينظر إليه من جهات أولها ما يتعلق بنوع الذنب الذى يقع فيه الإنسان.

النوع الأول ما اجتمع فيه دليل الطبع ودليل الشرع وذلك مثل ما يتعلق بالشرك الكبر بالله سبحانه مثل نفي وجود الله ، وما يتعلق بالقتل والسرقة دليل الفطرة موجود ولو لم يدل دليل من الشرع فإن دليل الفطرة قائم ، وحدانية الله من جهة أصلها وإن وجد عذر للإنسان ببعض صورها فالأصل أن لا يعذر الإنسان بهذا .

أما ما انفرد به دليل الشرع ولم يدل عليه دليل الطبع فالأصل أن الإنسان يُعذر حتى يأتيه دليل الشرع وذلك مثل كثير من صور العبادات فبعض الناس يضعون تحية من عندهم ولا يعلمون أنها عبادة فالأصل أنهم يبلغوا بحكم الله فيها كما في قول الله تعالى ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾(التوبة : 6) فلابد فيه من البلاغ .

[٢٢]) سبق تخريجه : انظر (15) .

والعذر بالجهل لابد فيه من ثلاث جهات :

الجهة الأولى : الجاهل هل هو حديث عهد بكفر أم من المسلمين القدامى .

الجهة الثانية : البلد التى جُهِل فيها .

الجهة الثالثة : المسألة المجهولة .

فهذه الأشياء يُنظر إليها ثم يُحكم عليها وكلام العلماء في ذلك كثير .

التوسل بمحمد ﷺ

الذين يحتجون على جواز التوسل بحديث أنس رضي الله عنه قال **(أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون)**[٢٣] فعمر بن الخطاب كان يقدم العباس عليه رضوان الله تعالى لأمر الصلاة للدعاء فقط وليس لتفريج الكروب ونحو ذلك ، فهم لم يفعلوا هذا الشيء وإنما كان منهم مثل هذا الأمر لأجل تقديم رجل صالح فإذا قدم الرجل الصالح الأقرب والأعلم والأكبر سنا فهذا لا علاقة له بالشرك .

وأما المشركون يعبدون أصنامهم ويقولون كما في قول الله تعالى ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر : 3) فيرون أن ذنوبهم وحالهم أحقر وأضعف من أن يتوجهوا بالخطاب مباشرة بها لله ، والله تعالى يقول ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(الجن : 18) لا تجعل بينك وبين الله وسائط ولا شفعاء وإنما الإنسان يدعو ربه لقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(البقرة : 186) لا تقول إن محمد قريب وإنما الله هو القريب فادعوه ساجدًا قائمًا ذاهبًا سائرًا فإنك تسأل من يراك ويسمعك في كل موضعٍ وحين .

---

٢٣) رواه البخاري (1 / 256 و 2 / 436 - 437) وابن سعد في " الطبقات الكبرى " (4 / 28 - 29) وأبو مسلم الكشي في " جزء الأنصاري " (5 / 2) والبيهقي (3 / 352) وابن عساكر (8 / 474 / 1) عن أنس.